

بجزة التأليف والترجمة والنشر

امتناع الامتناع

بما للرسول من الانبأ والأموال والخليفة والمشايخ

للمتقريزي

تفقي الدين احمد بن علي

الجزء الاول

صفحة وشرحها

محمد بن محمد

عني بنشره وطبعه خادم الغلام
عبد الله ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

الشؤون الدينية بدولة قطر

الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، وعزت صفاته ، لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، النبي الأمين ، الذي حمل الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأئمة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

صلى الله عليه ، وعلى آله وصحابه ، ومن سار على دربه ، وعمل بهديه إلى يوم الدين ..

وبعد : فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم : (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ، وهل هناك ثروة في هذه الدنيا وخير أعز وأثمن وأسمى من العلم ؟ .

فالعلم هو بضاعة الأنبياء والمرسلين ، والصالحين ، من البشر ، وهو أحسن بضاعة وأوفاهها قدراً وأسامها منزلة ، وأثمن ميراث يورثه المرء لأبناء جنسه ودينه ، ناهيك إذا كان هذا العلم نافعا يقصد به صاحبه وجه الله تعالى أولا وأخيراً .

والعلم أنواع شتى ، منه علوم الدين بتمامها وكمالها وهي أثنى المعارف قاطبة وأزكاها ، وأجداها للمرء في دنياه وآخرته ..

والتاريخ أيضاً من أجلّ المعارف الإنسانية ، ففيه تسجل الحوادث ، ومنه يعرف الماضي ليكون نبزاً للحاضر ، ودعامة للمستقبل ، ومن أوفى علماء الإسلام بكتابة التاريخ تقي الدين أحمد بن علي المشهور بالمقرئزي . وقد كان كما يقول عنه ابن العماد الحنبلي : « الإمام البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين ، كان عالماً من الأعلام ، ضابطاً ، مؤرخاً ، مفسناً ، محدثاً ، معظماً في الدول ، وليّ حسبة القاهرة غير مرة ، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى ، وكتب الكثير بخطه ، وانتقى وحصل الفوائد ، واشتهر ذكره في حياته ، وبعد موته ، في التاريخ وغيره ، حتى صار يضرب به المثل ، وكان منقطعاً في داره ، ملازماً للخلوة والعبادة ، قلّ أن يتردد لأحد إلا لضرورة . » اهـ من شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

لقد كان للمقرئزي - رحمه الله - أسلوب أدبي بارع في كتابة التاريخ يجذب القارئ لسهولته ، مع أدائه الكامل للمعاني بيسر .. ومما لا شك فيه أن كتابة التاريخ فن من الفنون قلّ الذين يجيدون الكتابة فيه ، إلا أنه - رحمه الله - أوتي حظاً وافراً حسناً وتوفيقاً من الله في الإمام بالحوادث .. يقول في مقدمة كتاب المواعظ

والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف « بالخطط المقريزية » يرسم في قوله هذا منهجه في التاريخ : (... وبعد : فإن علم التاريخ من من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الديار ، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها ، واستعلام مذام الفعال ، ليرغب بها أولو النهى ، لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به راقية ، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة ... إلخ) .

ولم يكن صاحبنا - رحمه الله - متعالياً ، ولا مغروراً أبداً ، وإنما كان مثال التواضع ، إقرأ إليه وهو يقول :

(... فإن كنت أحسنت فيما جمعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت ، فذلك من عميم منن الله تعالى ، وإن أنا أسأتُ فيما فعلت وأخطأتُ إذ وضعتُ ، فما أجدر الإنسان بالإساءة والعيوب ، إذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب) ..

وما أبرئ نفسي إنني بشر أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدر وما ترى عذراً أولى بذني زلل من أن يقول مقراً إنني بشر من هذا المنطلق المتواضع ، وبهذه النفسية السهلة اليسيرة المؤمنة البعيدة عن التعقيد والعجب كان المقريزي - رحمه الله - رائداً من رواد التاريخ ، دقيقاً فيما يكتب ، أميناً فيما يحكي ، ملماً بكل ما يقول ، بعيداً عن الانحياز والتعصب ..

وكتابنا الذي نقدمه إلى قراء العربية اليوم :

« إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأقوال والحفدة والمتاع »

كتاب فريد في طريقته ، يحكي السيرة النبوية بدقة بالغة ،
وقد طبع الجزء الأول فقط من هذا الكتاب منذ أربعين سنة في
القاهرة ، ونفدت نسخه حتى أصبح في عداد المفقود ، فعزمتنا بعد
التوكل على الله على إعادة طبعه على نفقة :

(ادارة الشؤون الدينية بدولة قطر)

ولعلنا - بعون الله تعالى - ندرك القصد من وراء نشره على الناس
ألا وهو أن نكون قد أدينا ولو سهماً يسيراً من الواجب علينا تجاه
سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسنته ، في هذا العصر الذي
تعرض له السيرة والسنة لأشنع حملة من التشويش ، من قبل أعداء
الله ، خصوصاً ممن يتسمون بالإسلام .. ولكن الله غالب على أمره ..
وهو كفيل بهذا الدين : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .
آملين أن يؤتينا الله العزم والعزيمة لإنجاز باقي الكتاب ، وأن
يوفقنا إلى إتمامه طمعاً في رفقة صاحب السيرة الزكية على الحوض
المورود « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »
« يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمَلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .. وَقَانَا اللَّهُ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ وَجَعَلْنَا فِي صُحْبَةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ ، أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا هَذَا خَالِصاً لِدِينِهِ ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَى مَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ . وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

خادم العلم

عبدالله إبراهيم الأنصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ (مقدمة المؤلف)
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَنْ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَالِّينَ مُبِينٍ ؛ وَأَرْسَلَهُ بِالْشَّرْعِ الْعَامِّ ، إِلَى جَمِيعِ
 ٥ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيَكُونَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَنَجَاةً — لِمَنْ أَتْبَعَهُ — مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَلِيَكُونَ
 فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ ؛ فَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ
 الْأُمَّةَ ، وَكَشَفَ الْعَمَّةَ ، وَأَعَدَّ لِحَيْدِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَسْلِحَةَ وَالْعِتَادَ ، وَارْتَبَطَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ الْمُسَوِّمَةَ الْجِيَادَ ، وَنَهَضَ لِمُحَارَبَةِ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 ١٠ بِنَفْسِهِ تَارَةً ، وَنَدَبَ لَهُمْ آوَنَةَ مِنْ صَحَابَتِهِ مَنْ رَضِيَهِ لِمَنْ ذَلِكَ وَاخْتَارَهُ ، حَتَّى ظَهَرَ
 أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مِنْ نَبِيِّ كَانَ يَأْكُلُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَيَنْكِحُ الْمُبْرَأَاتِ
 مِنَ الصُّيُوبِ وَالْأَنْبَاءِ ، وَيَسْتَعْتِدُّ الْمَوَالِيَ مِنَ الْأَرْقَاءِ وَالْأَحْرَارِ ، وَيُصَرِّفُهُمْ فِي
 مِهْنَتِهِ وَمُهَيِّمَاتِهِ الْجَلِيلَاتِ الْأَنْدَارِ ؛ وَيَرْكَبُ الْبَغْلَةَ الرَّائِعَةَ وَيَلْبَسُ الْحَبْرَةَ
 ١٥ وَالْقُبَاءَ ^(١) ، وَيَمْشِي مُنْتَعِلًا وَحَافِيًا مِنْ مَسْجِدِهِ إِلَى نَحْوِ قُبَاءَ ^(٢) ؛ وَيَدْخِرُ
 لِأَهْلِهِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَقْوَاتَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ ، وَيَجْعَلُهَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مُحَرَّرَةً حَاصِلَةً ؛

(١) الحبرة : ضرب من البرود اليمانية موسى مخطط . والقباء : ثوب مفتوح من أمام

ثم تضم أطرافه بأزرار ؛ ويقال هو من لباس الأعاجم

(٢) قباء : مكان بالمدينة كانت به مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وفيه بنى

مسجدها الذي أسس على التقوى ، كما وصفه الله تعالى . وسيأتي ذكره

وَيُؤْتِرُ بِقُوَّتِهِ وَتَوْبِهِ أَهْلَ الْحَاجَةِ وَالْمَسَاكِينَ ، ثَقَّةً مِنْهُ بِخَيْرِ الرَّازِقِينَ . اللَّهُمَّ
وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَنْبِطُهُ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمُتَّبِعِيهِ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

- وبعد ، فغيرُ جميل بمن تصدَّرَ للتدريس والإفتاء ، وجلسَ للحكم بين
الناس وفصل القضاء ، أن يجهل — من أحوالِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ٥
ولسببه ، وجميل سيرته ورفيع منصبه ؛ وما كان له من الأمور الذاتية والعرضية —
ما لا غنى — لمن صدقه وأمن به — عن معرفته ، ولا بدَّ لكل من أسَمَ بالعلم
من درايته . فقد أدركنا وعاصرنا وصحبتنا ورأينا كثيراً منهم عن هذا التنبؤ
العظيم معرضون ، ولهذا النوع الشريف من العلم تاركون ، وبه جاهلون ؛
١٠ فجمعتُ في هذا المختصر من أحوالِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم جملةً أرجو أن
تكون — إن شاء الله تعالى — كافيةً ، ولن وقفه الله سبحانه ، من داء الجهل
شافية . التقطَ كتاباً جامعاً ، وباباً من أمهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى
مؤلفه غرْمه ؛ وكان له نفعه ، يحدّه (١) مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين ،
ومع عرضه عقله الكدود على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهادة ، وتحكيمه فيه
١٥ المتأولين والحسدة . ومع ذلك فقد سميتُه : « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء
والأموال والحفدة والمتاع » صلى الله عليه وسلم . والله أسألُ التوفيقَ لديمة (٢)
العَمَلِ بالسُّنَّةِ ، ومواقفة الذين أنعم الله عليهم في مُجْبُوحةِ الجَنَّةِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

(١) هكذا هو رسم الكلمة في الأصل ؛ ولم نجد لها وجهاً . ولعله قد سقط من
الكلام بعض ما يتم به معناه . ولو حذف قوله « وكان له نفعه ، يحدّه » ، استقام الكلام
(٢) يريد « لدوام العمل ... » فأخطأ ؛ وشبهه عليه حديث عائشة وذكرت عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان عمله ديمة » شَبَّهَتْهُ بِالذِّمَّةِ مِنَ الْمَطَرِ
فِي الدَّوَامِ وَالِاِقْتِصَادِ .

- هو سيّد ولدِ آدَمَ ، أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، وأبو قثم ، وأبو الأرميل : أسماءه وكناه وألقابه
- [مُحَمَّدُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] (١) ، وأحمدُ ، والمأحى ، والحاشِرُ ، والعاقِبُ ، والمُتَقِي ، ونبيُّ الرَّحمةِ ، ونبيُّ التَّوْبَةِ ، ونبيُّ المَلَأَحِمِ (٢)
- ابن عبدِ الله بنِ عبدِ المُطَلِّبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عبدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابِ
ابنِ مِرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ . [وهو قُرَيْشٌ عَلَى الصَّحِيحِ] ٥
ابنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ أَلْيَاسِ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ ؛ النَبِيُّ المُصْطَفَى ، والرَّسُولُ المَجْتَبَى ، خَيْرَةُ رَبِّ العَالَمِينَ ، وخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وإمامُ المَتَّقِينَ ، وسيّدُ المرسلينَ ، صلى الله عليه وسلم
- أُمُّ رسولِ الله : أَمَنَةُ بنتُ وَهْبِ بنِ عبدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابِ بنِ مِرَّةَ
ابنِ كَعْبِ ؛ حَمَلَتْ بهِ في شَعْبِ أَبِي طَالِبِ ، [وقِيلَ عِنْدَ الجَمْرَةِ الكُبْرَى ؛ وقِيلَ
الوَسْطَى] في لَيْلَةِ رَجَبِ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ ، وقِيلَ حَمَلَتْ بهِ في أَيَّامِ التَّشْرِيقِ (٣) ١٠
- وُلِدَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ ، في دَارِ عُرْفَتِ بَدَارِ أبْنِ يوسُفَ ، من شَعْبِ
بنِي هَاشِمِ ، يَوْمَ الأَثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ من ربيعِ الأوَّلِ [وقِيلَ لِلْيَكْتَنِينِ
خَلَّتْ مِنْهُ ؛ وقِيلَ وُلِدَ ثَالِثَهُ ؛ وقِيلَ في عَاشِرِهِ ؛ وقِيلَ في ثَامِنِهِ ؛ وقِيلَ وُلِدَ يَوْمَ
الأَثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ من رَمْضَانَ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ . وقد شَدَّ بِذَلِكَ الزُّبَيْرُ ١٥
ابنِ بَكَّارَ ، إلا أَنَّهُ موافقٌ لِقَوْلِهِ إنَّ أُمَّهُ صلى الله عليه وسلم حَمَلَتْ بهِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ ،
فَيَكُونُ حَمَلُهَا مَدَّةَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ عَلَى العَادَةِ الغَالِبَةِ . وذلكَ عامُ القَيْلِ [قِيلَ بَعْدَ قُدُومِ
القَيْلِ مَكَّةَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، وقِيلَ بِشَهْرٍ ، وقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وقِيلَ قَدَّمَ القَيْلُ

(١) بياض بالأصل

(٢) في ابن سعد ج ١ ص ٦٤ وغيره « نبي الملحة » . وزاد ابن سعد في عدة أسماءه

« الحاتم »

(٣) أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد يوم النحر من عيد الأضحى

- للنصف من الحرم قبل مؤلّد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهرين إلا أياما ؛
وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوما ؛ وقيل بعده بعشر سنين ؛ وقيل بعده
بثلاثين عاما ؛ وقيل وُلد قبل الفيل بخمس عشرة سنة ؛ وقيل قبله بأربعين عاما ؛
وقيل ولد يوم الفيل ؛ وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل ؛ وقيل ولد في صفر ؛
وقيل يوم عاشوراء ؛ وقيل في ربيع الآخر [والراجح أنّه ولد عام الفيل في الثانية ٥
والأربعين من ملك كسرى ، أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزْدَجَرْد بن
بَهْرَام جُور بن يزْدَجَرْد الخَشْن بن بهرام بن سَابُور بن سابور ذي الأكتاف .
وكان على الحيرة^(١) — يوم وُلد — عمرو بن المُنْدَر بن امرئ القيس ، وهو عمرو
ابن هند ، وذلك قبل ولاية الثَّعْمَان بن المنذر — المعروف بأبي قابوس — على
الحيرة بنحو من سبع عشرة سنة ، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لعلبة ١٠
الإسكندر بن فيلبس المجدوني^(٢) على دارا ، وهي سنة ألف وثلثمائة وستة عشرة
لابتداء ملك بُحْت نصر . ووافق يوم مولده العشرون من نيسان ، وولد بالفجر^(٣)
من المنازل وهو مولد الأنبياء ؛ ويقال كان طالعُه برج الأسد والقمر فيه
وتركوا عليه جفنة كبيرة فأنفلتت عنه فلقبتين ، فكان ذلك من مبادئ
أمارات النبوة في نفسه الكريمة . ويقال وُلد محتونا ، مَسْرُورًا^(٤) ، مقبوضةً ١٥
أصابعُ يده ، مشيرا بالسبابة كالمسيح بها ، فأعجب ذلك جدّه عبد المطلب

صفة مولده

(١) في الأصل : « الحرة »

(٢) في الأصل : « فيلبس المجدوني »

(٣) في الأصل : « العمر » . و « الفجر » من منازل القمر ، قال البيروني ص ٣٤٣ :

« وتقول العرب إنه خير المنازل » ثم قال : « وقيل إن مواليد الأنبياء قد اتفقت فيه ولا أظن ذلك حقا »

(٤) مسرورا : قد قطعت سرته

وقال : « ليكوننَّ لابني هذا شأنٌ » . وقيل إن جدّه ختنه يوم سابعه ، وقيل ختنه جبريل عليه السلام ، وختم حين وضع الحاتم

وكانت مدة الحمل به تسعة أشهر ، وقيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل سبعة ، مدة حمله وقيل ستة . وعقَّ عنه ^(١) بكبش يوم سابعه وسماه محمداً

ومات عبد الله بن عبد المطلب — ورسول الله صلى الله عليه وسلم حملٌ في بطن أمّه — بالمدينة ، وقيل بالأبواء بين مكة والمدينة ، والأول هو المشهور ؛ وقيل مات بعد ولادته ثمانية وعشرين يوماً ، وقيل بسبعة أشهر ، وقيل بسنة ، وقيل بسنتين ، وقيل بشهرين ، والأول أثبت

أرضعت أمه صلى الله عليه وسلم سبعة أيام ، ثم أرضعته « ثويبة » مولاة « أبي لهب » بلبن أبنها « مسروح » أياما قلائل ^(٢) وكانت أرضعت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه « حمزة بن عبد المطلب » ، وأرضعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبا سلمة بن عبد الأسد » ^(٣) . ثم بعد رضاعه من « ثويبة » أرضعته « أمّ كبشة » ، حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجينة ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فضالة ^(٤) بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية « بلبن زوجها الحارث بن عبد العزى السعدى . وأرضعت معه صلى الله عليه وسلم ابن عمّه « أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب » أياما بلبن ابنها عبد الله ، ثم فطمته صلى الله عليه وسلم بعد سنتين

(١) عقَّ عنه : حلق شعره وذبح عنه شاة أو شاتين يوم أسبوعه

(٢) في الأصل : « دلال » وكتب تحتها « قلائل » بخط مخالف

(٣) اسمه « عبد الله » ، وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم ، أمه « برة بنت عبد المطلب »

(٤) في الأصل : « فضيلة »

وكان حمزة بن عبد المطلب مُسترضعاً في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهو عند أمه حليلة ، وكان حمزة رضيع النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين ؛ من جهة ثُوَيبة ومن جهة السعدية . ، وكانت ابنتها الشِّياء تحضنه معها

- ٥ وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وهو الذي شرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُنَيْسَةَ (١) بنت الحارث ، والشِّياء وهي حُدَافَةُ (٢) بنت الحارث

فأقام صلى الله عليه وسلم عند حليلة في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ (٣) نحواً من أربع سنين مدة رضاعه

- ١٠ وشُقَّ فؤاده المقدَّس هناك ومُلِيَّ حِكْمَةً وإيماناً بعد أن أُخْرِجَ حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ . وروى البخارى في الصحيح شُقَّ صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ؛ وقد أستشكله أبو محمد بن حزم . ويقال إن جبريل عليه السلام ختنه صلى الله عليه وسلم لما طهر قلبه الشريف . ثم ردَّته حليلة بعد شُقِّ فؤاده إلى أمه آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل ابن أربع سنين ، وقيل سنتين وشهر شق صدره

- ١٥ ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أخواله بها فأتت بالأبواء وهي راجعة إلى خروج آمنة وموتها

(١) في الأصل : « أَيْسَةَ » . وفي ابن سعد ج ١ ص ٦٩ والسيرة ج ١ ص ١٠٣ والإصابة ترجمة « الشِّياء » : « أُنَيْسَةَ » . ولم يفردها ابن حجر في الإصابة ترجمة ؛ وإنما ذكر « آسية بنت الحارث السعدية » وقال : أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، ولم أجدتها في غيره

(٢) في ابن سعد ج ١ ص ٦٩ « مُجْدَامَةُ » وفي ابن هشام ج ١ ص ١٠٣ « مُجْدَامَةُ » والإصابة في ترجمتها ، ثم فيها أيضاً « حُدَافَةُ » في ترجمتها وكذلك في ترجمة « الشِّياء » . كل ذلك على اختلاف بينهم في صوابها

(٣) قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ ، هذا هو النسب

مكة ، وله صلى الله عليه وسلم ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل وعمره أربع سنين ، وقيل ثمانية أعوام ، والأول أثبت

فكفله بعد آمنه جدّه عبد المطلب بن هاشم ، وكان يرى من نُشُوته^(١) كفالة جدّه ما يسره فيدنيه ، حتى كان صلى الله عليه وسلم يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دَعُوا ابْنِي ، فإنه يُؤْنِسُ مُلْكًا^(٢) . وزمّد عليه السلام في سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه ما يعالج به وبشر بنبوته . وحضنته بعد أمّه أمّ أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه ، حتى مات عبد المطلب وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثمانى سنين ، وقد أوصى به إلى ابنه أبي طالب^(٣) لأنه كان أخا عبد الله لأمّه

فكفله عمّه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطه أتمّ حياطة . وكان بنو أبي طالب يُصبِحون عُصًا رُمَصًا^(٤) ويصبح صلى الله عليه وسلم صَقِيلًا دَهِيْنَا . وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون ويتهبون ، ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينهب معهم ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزّل

(١) في الأصل : « نشوه »

(٢) في ابن سعد ج ١ ص ٧٤ « ليونس » وهي أجود ، أى لأنه يحس ذلك ويعلمه ، كما جاءت رواية ابن إسحق في سيرته ج ١ ص ١٠٨ « فوالله إن له لشأنا » ، وفي ابن سعد أيضا ج ١ ص ٩٨ « إنه ليحدث نفسه بذلك »

(٣) في الأصل : « المطلب » وهو خطأ ، وأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمّه ، أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ

(٤) جمع أغمس وأرغم ، والغمس : الذى يكون مثل الزبد أبيض يكون في ناحية العين ؛ والرَّمَصُ : الذى يكون في أصول الهدب . ورواية ابن سعد ج ١ ص ٧٦ : « وكان الصبيان يصبِحون رُمَصًا شُعْنًا ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهِيْنَا كَيْبَلًا » أى دَهِيْنَا الشَّعْرَ لِيْنِهِ ، برىء العين من الرَّمَصِ ، وهي أجود الروايتين

له طعامه على حِدَّةٍ . وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلم يُصْبِحُ في أكثر أيامه فيأتي زمزمَ فيشربُ منها شَرْبَةً ، فربما عُرِضَ عليه الغداء فيقول : لا أريده ، أنا شعبان

مخرجه الأول
إلى الشام

وخرج به إلى الشام في تجارة وهو صلى الله عليه وسلم ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ؛ وقيل ابن تسع سنين . فبلغ به بُصْرَى (١) ، وذلك فيما يقال لعشرٍ خلونَ من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة للفيل . فرأى أبو طالب ومن معه من آياتِ نبوته صَلَّى اللهُ عليه وسلم ما زاده في الوصاة به والحرصِ عليه : من تظليلِ العمَامِ له ، ومِثْلِ الشجرة بظلمها عليه . وبشر به بحيرا الراهب [واسمه سَرْجِسٌ من عبْد القيس] ، وأمرَ أبا طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيرمونه (٢) بسوء ، فكانت هذه أوَّلَ بُشْرَى بنبوته ، وهو لصغره غيرُ واعٍ إليها ولا متأهّبٍ لها ؛ وقيل خرج مع عمه وله تسع سنين ، والأوّلُ أثبت

خبر بحيرا الراهب

١٠

وكان حكيم بن حزام (٣) قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق حُباشة واشترى منه بزًّا من بزٍّ (٤) تهامة وقدم مكة . فذلك حين أرسلت خديجةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوه أن يخرج في تجارة إلى سوق حُباشة ، وبعثت معه غلامها ميسرة . فخرجا فابتاعا بزًّا من بزِّ الجند (٥) وغيره مما فيها من التجارة ، ورجعا إلى مكة فربحا ربحا حسنا . ويقال إن أبا طالب كَلَّمَ خديجة حتى وكلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارتها . وكان يشارك السائب بن أبي السائب

أول أمره مع
خديجة في التجارة

مشاركته السائب
في التجارة

١٥

(١) بالشام من أعمال دمشق

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلها « فيرمونه » أي يريدونه كما جاء في خبر ابن إسحق

ج ١ ص ١١٦ « لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتم ، ليفتنوه شرًّا »

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابن أخي خديجة

(٤) البزّ : ضروب الثياب

(٥) قسم من البين

صَيْقِيَّ بن عابد^(١) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فلما كان يومُ الفتح جاءه فقال عليه السلام : مَرَّحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي ، كان لا يداري^(٢) ولا يماري [ومعنى يداري يُشاحن ويخاصم صاحبه]

وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط ؛ قيل كل شاة بقيراط ، وقيل قراريط موضعٌ ، ولم يُرد بذلك القراريط من الفضة

وشهد حربَ الفجار الأيّامَ سائرَها إلا يومَ نخلة ، وكان يناول عمه — الزبير ابن عبد المطلب — التَّبَلَّ . وكان عمره صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عشرين سنة ، وقيل أربع عشرة أو خمس عشرة سنة

ثم أجز نفسه من خديجة — بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب — سَفَرَتَيْنِ بَقْلُوصَيْنِ^(٣) . وخرج ثانياً إلى الشام في تجارةٍ ومعه غلامها

مَيْسِرَةٌ — لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل وقد بلغ خمساً وعشرين سنة — حتى أتى بضمري فراه نَسْطُورُ الرَّاهِبِ وبَشْرُ بَنِيوتِهِ مَيْسِرَةٌ . ورأى ميسرةً من شأنه صلى الله عليه وسلم ما بهرته فأخبر سيده خديجة بما شاهد وبكلام الراهب ، فرغبت خديجة رضي الله عنها إليه أن يتزوّجها لما

رَجَتْ في ذلك من الخير . فتزوّج بخديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عَقَبِ صَفَرِ سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ ، [وقيل كانت^(٤) سنهُ إحدى وعشرين

(١) هكذا في الأصل وفي ابن هشام ج ١ ص ٥١٠ وفي أكثر كتب السير والرجال :

« عائد »

(٢) هكذا هو في الأصل مهموزاً ، وروى في الحديث غير مهموز ليزاوج « يماري » .

وفي ابن هشام ج ١ ص ٥١٠ : « نَعَمَ الصَّرِيكَ السَّابِّ ، لا يشاري ولا يماري » ؛ يشاري : يلج في الفرس

(٣) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية من النساء

(٤) في الأصل : « كان »

سنة ، وقيل ثلاثين ، وقال ابن جريج : وله سبع وثلاثون سنة ، وقال البرقي :
سبع وعشرون سنة قد رآه في الثلاثين ؛ ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس
وعشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون ، والأول أثبت [على اثنتي عشرة أوقية
ونش^(١) ، وقيل عشرين بكرة^(٢) . وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت منية أخت
يعلى بن منية^(٣) ، وقيل بل سفر بينهما ميسرة ، وقيل بل مولاة مؤلدة . وكان
الذي زوج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى
وقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة ابنة خويلد ! هذا الفحل
لا يُقرع أنفه^(٤)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن
ابن عباس ، فيما يحسب حماد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر خديجة ،
وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ؛ فصنعت طعاما وشرابا ودعت أباهما ونفرا
من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة : إن محمد بن عبد الله
يخطبني فزوجني إياه فزوجها . خلقت^(٥) وألبسته ، وكذلك كانوا يفعلون بالأباء ،
فلما سرى عنه سكره نظر فإذا هو مخلوق وعليه حلة فقال : ما شأني ؟ ما هذا !
قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، فقال : أنا أزوج يتيم أبي طالب الاعمري .
فقالت خديجة : ألا تستحي ! تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس

(١) الأوقية أربعون درهما ، والنش نصف أوقية

(٢) البكرة : من الإبل بمنزلة الفتاة من النساء

(٣) منسية أمها أو جدتها ، وأما اسم أيهما فهو « أمية بن أبي عبيدة الخنظل »

حليف قريش

(٤) أي كفف كريم لا يرد

(٥) خلقتة : طلته بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب عديم

أَنْكَ كُنْتَ سَكْرَانٌ . فلم تزل به حتى رضى . وقد رُدَّ هذا القول بأن أباهما تَوَفَّى
قبل الفجار

وشهد صلى الله عليه وسلم حلف الفضول مع عمومته في دار عبد الله بن جُدعان
ابن عمرو بن كعب^(١) بن تيم بن مرة

شهوده حلف
الفضول

تحكيمة في أمر
الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صانَه وحَمَاهُ من صِغَرِهِ ، وطَهَّرَهُ وبرَّأَهُ من دَنَسِ الجَاهِلِيَّةِ
ومن كل عَيْبٍ ، ومنحه كلَّ خُلُقٍ جميلٍ ، حتَّى لم يكن يُعْرَفُ بين قومه إِلَّا
بالأَمِينِ ، لِمَا شاهدُوا من طَهَارَتِهِ وِصْدُقِ حَدِيثِهِ وَأَمَانَتِهِ ، بحيثُ أنه لَمَّا بُنِيَتْ
الكعبةُ بعد هَدمِ قَرِيشٍ لها في سنة خمس وثلاثين ، وقيل سنة خمس وعشرين
من عمره صلى الله عليه وسلم — وذلك قبل المَبْعُثِ بخمس عشرة سنة وبعد
الفجار بخمس عشرة سنة — وَوَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، اسْتَجَبَرُوا^(٢)
فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ مَوْضِعَهُ ، فَأَرَادَتْ^(٣) كُلُّ قَبِيلَةٍ رَفْعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، وَاسْتَعَدُّوا
لِلْقِتَالِ وَتَحَالَفُوا عَلَى الْمَوْتِ ، وَمَكَّثُوا عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ . فَأُشَارَ عَلَيْهِمْ أَبُو أُمِيَّةٍ
حُذَيْفَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْرُومٍ — وَهُوَ أَسْنُ قَرِيشٍ يَوْمئِذٍ —
أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ حَكْمًا أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ ؛
وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : هَلُمُّوا^(٤) لِي تَوَبَّيَا ، فَأَتَى بَشُوبٍ — يُقَالُ إِنَّهُ كِسَاءٌ
أَبْيَضٌ مِنْ مَتَاعِ الشَّامِ كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَخَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ
فِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : لِنَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةِ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا ، ففعلوا

(١) في ابن هشام ج ١ ص ٨٥ « ابن كعب بن سعد بن تيم » ، وهو الصواب

(٢) استجبروا ، وتشاجروا : اشتبكوا مختلفين

(٣) في الأصل : « فأراد »

(٤) في ابن هشام ج ١ ص ١٢٥ : « هلمَّ لى » . والمعنى : هاتوا ، وأعطوني

حَتَّى بَلَّغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ فَوَضَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ . وَيُقَالُ كَانَ
الثَّوْبُ الَّذِي وَضِعَ فِيهِ الْحَجْرُ لِلْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ

أول ما بدى
به من النبوة

ولما أراد الله رحمة العباد ، وكرامته صلى الله عليه وسلم بإرساله إلى العالمين ،
كان أولاً يرى ويُعابن من آثار فضل الله أشياء : فشق في صغره بطنه واستخرج
ما في قلبه من الغلِّ والدَّسِّ ، فكان يعان الأمر معاناةً . ثم كان لا يمرُّ بحجرٍ
ولا شجرٍ إلا سلم عليه فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت يمينا
ويسارا فلا يرى أحداً . وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتُخبر علماء كل أمة قومها
بذلك . ثم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح . فكان أولُ شيء
رآه من النبوة في المنام بطنه طهراً وغُسل ثم أعيد كما كان^(١)

وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ فَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مُتَعَبِدُوا^(٢)
ذلك الزمان ، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لثلثها
يتحنَّث^(٣) بحراء ومعه خديجة . فيقال إنه أول ما رأى جبريل عليه السلام
بأجبادِ فصرخ به : يا محمد ، يا محمد

تحننه بحراء
وبدء الوحي

ثُمَّ فَجَّئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ بَغَارِ حِرَاءَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ ،
وقيل لأربع وعشرين ليلة مضت منه ، وله من العمر أربعون سنة . وهذا
مروى عن عبد الله بن عباس ، وجبير بن مطعم ، وقبث بن أشيم ، وعطاء ،
وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك ، وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .
وقيل بعث وله من العمر ثلاث وأربعون سنة ، وقيل أربعون ويوم ، وقيل

بعثته

(١) مضى « أنه كان يعان الأمر معاناة »

(٢) في الأصل : « متعبدوا »

(٣) في الأصل : « يتحنث » ، والتحنث : التعبد